عازفو الرباب والكمانجـــــه

لقد وردت كلمـة " رباب " اسما للفتيات في الشعر العربي القديم ثم ذكرها الخليل بن احمد المتوفى سنة 175 هـ 951 م حيث يقول : ان العرب كانوا يغنون اشعارهـــم على صوت الرباب، وذكرها كل من الجاحظ في " مجموعة الرسائل " والفارابي في كتابـه " الموسيقى الكبير " وابن سينا في " الشفاء " و بن زيله في مصنفه " الكافي " ويقول " النابلسي " في هامش رسالته (الدلالات في سماع الالات) الربابه الة موسيقية عربيـــة قديمة نشات في الجزائر وتونس ومراكش مثل قسمها في العراق والاقطار القريبة منه هـ

و فعلا فالرباب لم يستعمل في الموسيقى التقليدية العربية الا في هذه الاقطار مع عثورنا على صور و رسوم تثبت وجود الرباب في الاندلس.

و هو عباره عن قطعة خشب من الجوز وقع حفرها ووضع على نصفها الاعلى قطعـــــة نحاسيـة اوخشبية ذات ثقوب تمثل زخرفة جميلـة ،وعلى نصفها الاسفل قطعة من الجلـد رقيقـــه ،و هو ذو وترين من سعوان الخروف يعدلان بنسبة خماسية كاملة (يكاه وذوكاه اى صول قرار وراى) ويعزف بجر القوس ذى شعر ذيل الحصان عليهما وتتغير منازل الرباب بجذب الوتر باصابع اليد اليسرى الى اليسار .

اما في العراق فتسمي هذه الاله " الجوزه " بسبب استعمال نصف قشره " جوزه هند " صندوقا صوتيا لها مغطى بقطعة من جلد رقيق وهي ذات اربعه اوتار تتغير منازلها بجس اوتارها باصابع اليد اليســـرى .

وفي مصـر فالربابـــه تماثـل " الجوزه (العراقيـــة ولكن لها وتر واحد من شعر ذيل الحصان ويستعملها الشعراء والقصاصون الشعبيون في فواصلهم الموسيقية و يسمى (رباب الشاعر)

وفي الشام والعراق و فلسطين يوجد رباب اخر صندوقه الصوتي مستطيل من خشـــب وضع عليه قطعة جلد وهو ذو وتر واحد يستعمله المغنون الشعبيـون .

وتوجد انواع من هذه الالـــه في العديد من البلدان الاسلامية وتسمى " كمانشاه "

وتذكر القواميس الغربية ان الرباب انتقل الى اروبا من الاندلس في القرون الوسطـــى

وتولدت عنه الة تسمى " ربك " ومنها جاءت الكمانجه المعروفه

حاليا بمختلف اصنافها

وقد استعمل " الرباب " في التوريه لدى احد الشعراء حيث يقول :

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفـــر فالشيخ في كل الامور مهـــــذب

طورا يغني بالرباب وتـــارة تاتي على يديه الرباب وزينـــــب

وفي اواخر القرن التاسع عشر دخلت الة الكمانجـــه الغربية البلدان العربيـــة

والاسلاميـــه واخذت تزحزح الرباب الى ان اخذت مكانته واصبح عازفو الرباب قله في بلدانهم .

وقد تبنى هذه الاله الجديده عازفو الرباب انفسهم وادخلوها فجزء هام من برامج

الحفلات وقد مسكوها على طريقة الرباب .

وقد اشتهر من هولاء العازفين الذين اختصو بالرباب او اشركوه مع الكمانجه السادة :

الاساتذه البريهي وتلميذه الحاج عبد الكريم الرايس واحمد الوكيلي بالمغرب . والاستاذه الحاج

العربي بن صارى وعبد الكريم دالي . وعلى المرابط بالجزائر ، وفي مصر ابراهيم سهلون

واما في تونس فقد انفرد بالرباب الاستاذان بريهم تبسي في القرن الماضي ومحمد غارنم الذى

تراس الفرقة التي شاركت في المؤتمر الاول للموسيقى العربية سنة 1932 بالقاهرة وشارك في تاسيس

الجمعيه الرشيديه

وابراهيم الرفراني ، وشرك الرباب مع الكمانجه الاستاذ احمد بطيخ

(دربال) والدكتور بحلسن فرزه والباربوطبـــول وعرف بعزف الكمانجه على طريقة الرباب

اى بوضعها فوق احدى الركبتين الاستاذ تذه عبد العزيز جميل صانع الالات واستاذها والهادى

قمام ومحمد الخيارى وخيلو الصغير وهو ابرع وامكن من عزف المقامات التونسيه والعداوى ويعقوب

وكذلك كل من الاستاذين محمد التريكي والحبيب العامرى اللذين تحولا بها الى الطريقـــه

الغربيه بوضعها على الكتف الايسر بعد مشاهدتهما للموسيقار المصرى الاستاذ سامـــي شوا

الذى يعتبروالده " انطوان شوا " اول منعزفهاعلى الطريقة الغربية في المشرق العربي ومن الغريب ان اخواننا الفنانيين العازفين لهذه الاله في الفرق التقليديه بكل من المغرب والجزائرمايزالون متمسكين بعزف الكمانجه على طريقة الرباب حتى الان رغم ماعرف عن هذه الطريقه من تقييد للعازف بعدم تمكنه من استخراج كل امكانات هذه الاله .

واشتهر بعزف الكمانجه بعد هولاء الاساتذه رحمين بردعه وهومن العناصراليهوديه التى التجات الى تونس سنه 1911 عند حرب الطليان وحمادى طليبه و قدور الصرارفي ورضاالقلعي وعزالدين المهدى والملحن موريس ميمون والمسطارى العيد و عبدالمجيد الحركاتي المتفقد بوزارة الثقافة واحمد الصباحي والناصرزغنده و فتحي زغنده ومحمدعبيد الذى تولى اداره فرقه بلدية تونس الموسيقية ومجموعة من الشبان نذكرمنهم عبدالمجيد كسكاس والبشيرالسالمي والملحن عبدالكريم صحابو

هذا وتوجدت فئه من عازفي الكمانجه اختصوا في الموسيقى الغربية السنفونيه ابرزهم الاستاذ احمد عاشور الذى اصبح فيمابعد قائد الاركستر السنفوني ومنهم الاساتذه نورالدين العنابي وصلاح الدين الجعايبي المقني ورشاد بن عبدالقادروغيرهم .

وبرزفي عزف الكمانجه الكبيره (فيرلنتشالو) الشيخ محمد الطبربي والاساتذه المنصف قميحه ومحمد العلاقي ومحمود الفزاح وعبدالستار بن عيسى واخوه المنصف وابنه نوفل

وامتازالشاب محمدعنيه في هذه الاله بحيث يمكن اعتباره في الصف الاول من عازفيه مع الاستاذين حسن الحفناوى ومحمود رمزى في مصر على الصعيد العربي

اماالكمانجه الكبرى (كترباص) فقدامتاز بهاالاستاذ ابراهيم المهدى وسلك سبيله مجموعه من الشبان وكذلك الاساتذه على العيد ونجيب بلهادى وبخصوص نوع الكمانجه المعروف بالالطو فالوحيد الذى تعلمهاعلى قاعده هوالشاب نبيل سلامه ولكنه استقر للعمل بها باروبا حيث توفي ويستحسن ان نفرض على متعلمي الكمانجه التدرب على اله الرباب حتى لاتندثر هذه الاله المغاربيه العريقة

والله الموفق

عازفو القانـــــــون

تصنع الـه القانون في الغالب من خشب الجوز في شكل شبه منحرف قائم الزوايا ، اشتهرت بالخصوص في مصر وفـي تركيا حيث يكون حجمها في ثلثي حجم القانون المصـرى ، وتتراوح دائرتها الصوتية بين ثلا ثـه واربعة واوين باعتبار ثلاثة اوتار لكل درجة صوتيـه ابتداء من قرار الجهارکاه (فاقرار) اواليکاه (صول قرار) ويعزف بواسطة ريشتيـن توضعان في سبابتي اليدين لاداء القرار والجواب في ان واحد .

وقد كان تنويع المقامات يتم في هذه الاله بواسطة التضفير باليد اليسرى ويقول كامل الخلعي في كتابه " الموسيقى الشرقي " ان محمد افندى العقاد هو اشهر من اجاد هذه الالـه ونظرا لطول مدة وجوده مع المطرب عبده الحمولي وسرعه هذا المطرب في الانتقال بين المقامات تعود العقاد على دقة التضفير وعلى تغيير تعديل القانون (شدها تصليحها دوزانها) في اسرع مده لا يباريه فيها خلافه كما يشهد بذلك معاصروه ممن يشتغلون بهذه الاله ـ هـ ـ

وقال فتح الدين بن الشهيد في القانون :

غنى على القانون حتى غـــدا من طرب يهتز عطف الجليـس
فحنت الارواح من شـــدوه الى انيس ياله من انيـــس
دارى قلوبا من عليل الاســـ وكان فيه من هواه رسيـــس
فصاحت الجلاس عجبا بـــه ياصاحب القانون انت الرئيـــس

وفي ذكر " الرئيس " ربما يشير الى الحكيم " ابن سينا " صاحب كتاب " القانـون " في الطب ويقول بعضهم انه مخترع اله القانون اومحسنها

وقد تطورت هذه الالـه في العشرينات بمصر بان اضيفت لها قطع صغيره من نحاس توضع تحت يسار الاوتار تسمى " عرب " (بضم العين) ترفع وتنزل لتنويـع المقامات

وقد عرف عازفو هذه الآله بانفرادهم بمحاسبه ارتجالات المغنين (اعاده غنائهم

عزفا) ولذلك نعتوا باحمرة التحت اوالفرقـــه .

وقد قام بتطويرالقانون ثلـــة من العازفين المصريين اشهرهم على الرشيـــــدى وعبدالحميد القضـابي وابراهيم العريان الذى نقل هذه الالـة للمغرب العربي واخذهـا عنه بليبيا " ديدو والجبالي " الذى انتقل الى تونس واستقر بها لاجئا من حـــــرب الطليان الى ان توفي في الخمسينات ـ و" فريدخ سلامه " وانتقلت منه لابنه " يوسف " الذى اشتهر بها ـ والموسيقار خميس الترنان الذى حلها مكان البيانو ومحمد القـــادرى الذى كانت له الشجاعة الكافية للتحول من الـــه البيانو التى اشتهربها الى القانون لقناعته بان البيانو يسيء للموسيقى العربيه لعدم اشتماله على مادون الانصاف من الدرجات .

وظهر بعد هؤلاء العازفين الاستاذ ابراهيم صالح الذى امتازببراعته وتمكنـــه من المقامات الشرقيـه والتونسيـة وكذلك الاساتذه يوسف قنونه ومحمد النابلي الدى لـه تلاحين عريقه وحسن الغربي اوى من درس هذه الالـة بمعهد الموسيقى ومحمد الحجـــام ومحمد الجبورى وكاكينو دوباز الى توفيق زعنده والنورى الرباعي استاذ هذه الالـــه بمعهد صفاقـــس للموسيقى وقد قام بتدريسها بمعهد الدراسات النغميه ببغداد ، ومحمد المكنـي الذى قام بتعليم القانون بمعهد مدينة البصره بالعراق

وقد بقيـــت هذه الاله قليلـــة التداول لكلفتها الباهضـــه لذا يتحتم عقـــد ندوات بين ممارسيها وصانعيها لانتاج مجموعة منها للدارسين باثمان معقوله ودراســـه تسهيل استعمال " عربها " وتعويض قطعة الجلد التي يرتكزعليها الفرس الرافع للاوتـــار حتى يرتكز دوزان هذه الاله لان الجلد يتاثر بالرطوبه وبالحراره فيسبب انخرام الدوزان (التقعيد اوالتسويه) بكثره كما يتحتم على اساتيذ القانون ابتكارطرق جديدة لتعليم هذه الاله وعلى موءلفي الموسيقى ان ينتجوالها قطعا تبرز اصالتها والبراعة في عزفها

ـ والله الموفق ـ

النـــاى واشهر عازفيـــه

لقد تعرضـت الكتب القديمـــة الى الات النفخ وبينت احداث الصوت بها مثلمـــا قال : " ابونصر الفارابي " يحدث بها النغم بتسرب الهواء في تجويفاتها شيئا فشيئا ، مثل المزامير وما جانسها .

وكلمـة ناى فارسيـــه الاصل تقابلها باللغة العربية " القصبه " او " الشبابـــه " وهو من قصب يشترط فيه ان يشتمل على تسعه اجزاء متساويـة (بقدر الامكان) تفصل بينها ثماني عقد ، ويشتمل على ثقبة خلفيه يسدها ابهام اليد اليســرى وست ثقب اماميـــه تغطى بسبابـــة ووسطى وخنصر اليد اليسرى بالنسبه للثلاث ثقب العليا وبالتي لليـــد اليمنى للثلاث ثقب السفلى .

ويعزف الناى بوضع فتحته العليا على الجزء الامن من شفـة العازف الذى لابد له من بذل الجهد في المحاولات الاولى للحصول على النغم الصحيح .

ويعتبر الناى من اقدم الالات الموسيقيـــه ويقال ان سيدنا داود عليه الســـلام كانت له نايات يضعها في مكان خاص من نافذة بيته تحدث له انغاما مطربه عذبه عند تغيير مجرى الهواء في الساعات الاولى من الفجر تصحبه للصلاة .

وهكذا استمرت قداسه هذه الالـــه وقد اعتمد عليها عدد من الطرق الصوفيـــــه في الهند وبلاد فارس ثم لدى الطريقـة المولويه التركيه نسبة الى مولانا جلال الدين الرومي المتوفى سنة 672 هـ 1373 م دفين مدينة قونيا بجنوب تركيا ، وقد اطلعت بضريحـــه على اهم متحف لهذه الاله ، حيث يوقف كل عازف ممتازلها الاته على هذا المتحف تبركا .

وللناى سبعه احجام لكل منها طبقـة صوتيـة خاصة واسم خاص وهي لدى الاتراك ابتداء من الاكبر حجما 1 داود ـ 2 ـ شاه ـ 3 منصور ـ 4 ـ كيزناى ـ 5 مستحسن ـ 6 سوبرده ـ 7 ـ يولا هنك . وله اسماء اخرى في بعض البلدان العربية مثل : " النقيب والزلامي " والاسماء التركية هي الاكثر شيوعا ، ويوضع للناى في تركيا بالخصـــــوص

قطعة من العاج او من الابنوس ومن قرن احد الحيوانات في فتحته العليا تعين علي النفخ تجاوزناها في جميع البلدان العربية .

وقد انتقل الناى مع الطريقة المولويه من تركيا الى مدينة حلب ثم دمشق بالشام وبرز في عزفه استاذنا الشيخ علي الدرويش الذى تعلمه على الاستاذ التركي عزيز دده افندى (1855_1905) ثم الى مصر اوائل القرن الحالي وبرز في عزفه بالخصوص الاستاذ علي صالح ثم الاستاذ امين البزرى الذى له عده تساجيل على اسطوانات .

وانتقل الناى الى العراق ثم الى تونس بواسطة الشيخ علي الدرويش في نطاق المعهد الرشيدى حيث تخرج عليه اولا السادة احمد الحداد والحاج احمد بن عبد السلام وصالح الخميسي ثم صالح المهدى الذى تمكن من استخراج كل الامكانات الفنية للناى وكون لنفسه طريقه خاصه لقنها لجمع من تلاميذه برز منهم الاساتذه عبد الحميد بلعلجيه الذى تولى رئاسه قسم الموسيقى بالاذاعه التونسية ومحمد سعاده وصلاح الدين المانع استاذ هذه الاله بالمعهد العالي والمعهد الوطني للموسيقى ، وقد درس هذه الاله في معهد الدراسات النغميه ببغداد كما اتقنها الاستاذ محمد اللجمي والاساتذه الشاذلي الصرارفي وجلول عصمان وجلول الجلاصي وعلى الحشيشه متفقد التعليم الثانوى ومؤسس معهد الموسيقى بصفاقس .

وتخرج عن الاستاذ صالح المهدى في عزف الناى الاستاذ صبرى الشريف من ليبيا (بالمراسلة) وبثها في بلده . كما تخرج عليه الاستاذ بوالعويفات من مدينة قسنطينه وقام ببثها في كل من الجزائر والمغرب . ونجح في صناعة هذه الاله بتونس الاستاذ صلاح الدين المانع المذكور والاستاذ محمد علي بن مريم وهي مستعمله في جميع الحفلات والمهرجانات ضمن الفرق التقليدية والعصريه وهذا ضمان لاستمرار تداولها لدى الاجيال الصاعده